"طبيب الفقراء" بعد نصف قرن من العطاء المجاني في الطبّ والسياسة

الدكتور بيار دكّاش: أطلبوا العلم ولو في الصين وأحسنوا اختيار ممثليكم في السلطة

طبيب ونائب لبناني، دخل ميدان الخدمة العامة من بوابتين: الطب والسياسة. وفي كلا الميدانين كان إنساناً قبل كلّ شيء. عمل في خدمة الإنسان، كلّ إنسان وكلّ الإنسان، فكان من الناس ومعهم ولهم.
بدقّة الطبيب الجرّاح، تعاطى في التشريع فكانت له بصمات مضيئة في إقرار عدة تشريعات حول الصحة العامة وغيرها. وبصفة النائب ممثّل الشعب، مارس الطبّ وممثّل في هذا الميدان كلّ فقير ومحتاج إلى طبابة واستشفاء، فكان طبيب الفقراء ونائبهم، يطببهم مجّاناً في العيادة والمستشفى، وينطق باسمهم تحت قبّة البرلمان.
إنّه الحكيم «الحكيم» النائب الدكتور بيار دكّاش.

الحكيم

ولد الدكتور بيار دكّاش في ١١ كانون الأول ١٩٢٨ في الحدث - بيروت، متزوج من نورما ابنة العميد الركن جوزيف حرب وله منها ولدان: ديان وجان بيار.
تلقى دروسه في مدرسة القلبين الاقدسين - الحدث وفي مدرسة الضيعة «السنديانة» كنيسة السيدة الحدث وفي مدرسة الشياح للاستاذ ملحم حاتم، ثم انتقل الى الجامعة الاميركية الفرع الانكليزي من الصفوف الابتدائية حتى السنة الاولى في الطب، واكمل دروسه الطبية في الجامعة اليسوعية او جامعة القديس يوسف، حيث نال شهادة الدكتوراه من الدولة الفرنسية.
تخصص في الجراحة العامة، ومجاز في الفلسفة القديمة، حائز على الدراسات العليا في الرياضيات وعلم الفلك والبيولوجيا والفيزياء، ودكتوراه دولة في العلوم الاجتماعية.
شغل مناصب طبية عديدة بينها: رئيس لجنة اطباء مستشفى سانت تريز - الحدث، ورئيس قسم الجراحة في المستشفى عينه، بالإضافة إلى عمله كجراح في مستشفى قلب يسوع مستشفى سانت تريز.

انتخب الدكتور دكّاش نائباً عن دائرة بعبدا المتن الجنوبي في المجلس النيابي اللبناني من ١٩٧٢ حتى عام ١٩٩٢ وفي انتخابات عام ١٩٩٦، هو عضو في اللجان النيابية للتربية والدفاع والصحة والشؤون الاجتماعية من ١٩٩٢←١٩٧٢، اما في اللجان النيابية عام ١٩٩٦، فهو عضو في لجنة الصحة والشؤون الاجتماعية.
للدكتور بيار دكّاش نشاطات اجتماعية وخيرية عديدة، فهو رئيس فخري لجمعية رسل قلب يسوع (الرهبنة العلمانية)، رئيس فخري لعائلة «آل دكاش»، رئيس فخري للجمعية الخيرية لحماية الكفيف في لبنان، رئيس فخري في جمعية «كلنا انسان»، عضو في «التجمع للجمهورية» المعارض، رئيس جمعية «رسالة سلام» للاهتمام بالمعاقين، رئيس جمعية الصداقة اللبنانية- اليابانية، رئيس سابق لـ روتاري كلوب - المتن، عضو مناصر لحقوق المرأة في المجلس النسائي اللبناني ـ منسق عام في الاتحاد الدولي للسلام وحقوق الانسان، عضو في حركة لبنان الشباب ـ رئيس رابطة النواب السابقين، رئيس مجلس الامناء لجمعية البيئة والتراث، عضو في نادي بليفرز بعبدا ـ عضو في جمعية الهوية والسيادة، عضو في حركة الولاء للوطن...
حائز على عدة جوائز تكريم وتقدير، آخرها وسام الأرز من رتبة كوموندور، ولكن لقب «الدكتور بيار» هو الأهم والأحب إلى قلبه، «فرسالتي الطبية أهم من كلّ الألقاب» - يقول- ويضيف: «لا شك في أنني قصّرت مع عائلتي، وبالتالي مع نفسي، لأن ضرورة العناية بالمريض، وبالجرحى في الحوادث والحرب، كانت لها عندي الأولوية المطلقة، على حساب الاهتمام بأسرتي ورعاية شؤونها. أعترف اليوم بهذا التقصير غير المتعمّد. وأقرّ بفضل عائلتي التي حمّلت الكثير الى جانبي، كطبيب أولاً وكسياسي ثانياً.»

قصّة ألم وقوّة

«لقد اخترتُ الطب لأني اعتبرته رسالة تخدم الإنسان المريض، يقول الدكتور دكّاش ويضيف: «في صغري، أصيب أخي ايلي بمرض وهو في السنة الثانية من عمره ، فيما كنت أنا في الثانية عشرة، وقد احتجنا لإدخاله الى المستشفى ولشراء البنسلين في سبيل معالجته، ولمّا لم يكن المال متوافراً لدى والدي فقد اضطّر لرهن قطعة أرض لقاء /١٠٠/ ليرة ذهباً، إلاّ أن أخي توفّي في الوقت الذي استغرقته عملية رهن الأرض وتأمين مُقرض لنا. إثر هذه الحادثة الأليمة، قال لي والدي، إذا كنت لا تزال راغباً في دراسة الطب، فعليك أن تخلف أمامي منذ الآن بأن تطبّب مجاناً لمدة سنة بعد تخرّجك، وهذا ما فعلته، ثم طلبت مني والدتي أن أفعل الشيء ذاته لسنة آخرى، فاستجبت لطلبها خدمة للفقراء والمعوزين، وصارت رسالة الطب جزءاً لا يتجزأ من شخصيتي وثقافتي ومسيرتي المهنية والوطنية.»
مارس الطب كرسالة وليس كمهنة، حتى لقب بطبيب الفقراء، استمد روح الخدمة هذه من والده وقد أعطته الكثير وأخذت منه الكثير أيضاً، وعنها يقول: «استمدّيت روح الخدمة هذه من والدي الصيدلي عبده دكاش الذي كان يركّب الأدوية بأرخص الاسعار لمساعدة المحتاجين، وقد أكسبتني روح الخدمة الإنسانية هذه، والتي تعزّزت وترسّخت أيضاً بتربية والدتي لنا، أنا وإخوتي على المبادىء الانسانية ذاتها، فأكسبتني شعوراً بالارتياح النفسي والرضى الذاتي، كوني أسير على الطريق الصحيح، طريق تخفيف آلام الناس وتلبية حاجاتهم من غير منّة ولا مقابل، إلاّ ما يرتأونه هم وما يقدرون عليه كأتعاب للطبيب، أما ما كلّفتني أو أخذته مني روح الخدمة العامة، فهي بوجه خاص راحتي الشخصية وراحة عائلتي والتضحية في سبيل الناس عل حساب أسرتي.»

بين الطبّ والسياسة

وفي ميدان السياسة، كما في الطبّ، ترك الدكتور دكّاش بصمات مضيئة، وعن حياته السياسية يقول: «في الندوة البرلمانية، كنت عضواً في لجان عدة كالتربية والصحة والبيئة والدفاع، وطوال وجودي في البرلمان، سعيت جهدي لجعل لبنان مركزاً للطبابة والاستشفاء في العالم العربي والشرق الأوسط، وحرصت دائماً على تأمين أكبر قدر ممكن من حقوق المرأة اللبنانية، بالتعاون مع زملائي النواب الذين كانوا يشاطرونني أفكاري وتطلّعاتي، والكل يدرك كم من التقدم أحرزه لبنان في العقود الماضية، وبالمقارنة مع بلدان المنطقة على صعيد الخدمات

مع الناس وللناس

خلال تقليده وسام الأرز من رتبة كوموندور

الطبية والاستشفائية وعلى صعيد حقوق المرأة، وفي موازاة ذلك، تعاونت مع العالم المهندس غسّان قانصو الذي اكتشف للمرة الأولى، وجود النفط والغاز في المياه الإقليمية اللبنانية، وكان صاحب مشاريع رائدة.»
كيف يقيّم بيار دكاش قطاع الصحة في لبنان لناحيتي الخدمات والتشريعات؟ وما هو المطلوب للنهوض بهذا القطاع وإحقاق حق الطبابة للجميع؟ ولماذا لم نصل بعد الى هذا الحق ؟ أسئلة مشروعة للبنانيين في هذا الزمن الصعب، يجيب عليها بخطة محددة ترد على غالبية الهواجس في القطاع الصحي: «لعلّ أهم إنجاز ينتظره اللبنانيون هو توحيد الجهات الضامنة صحياً، فتعدّد الجهات الضامنة في لبنان هو مصدر أساسي للهدر في الجهد والموارد المتاحة . ولا سيّما الموارد المالية، لذا ينبغي أن يتمّ توحيد هذه الجهات وإخضاع جميع اللبنانيين لجهة واحدة تضمنهم صحياً واستشفائياً لقاء مساهمات مالية معقولة، حسب مداخيلهم، في المقابل، يجب أن يكون لكل مواطن لبناني، عامل أو متقاعد، بطاقة صحيّة تحتوي كل المعلومات الشخصيّة والصحيّة المتعلّقة به، وتدخل في بنك معلومات وطني يمكن الاستعانة به في دراسة أوضاع اللبنانيين الصحية وفي حملات التوعية والإرشاد ومكافحة الأوبئة وحملات التلقيح أو حملات الحدّ من انتشار أمراض معيّنة إلخ ...»
في مسيرته الحافلة، تأثر الدكتور دكّاش بشخصيات عدّة تعامل معها بطريقة أو بأخرى: «أستاذي في الجامعة الأميركية الدكتور شارل مالك هو مثلي الأعلى، كونه كان يجمع في شخصيّته بين النزعة الإنسانية والعلم والثقافة والحسّ الوطني. أما في عالم الطب، فقد كنت معجباً بعدد من الأطباء الذين تأثّرتُ بهم، أمثال أنيس مخلوف، هنري بدارو، اميل جعجع، موريس فرح، ارنست مجدلاني، وانطوان غصين.»

مستحق

رعمسيس حتى أيام شارون في قصر بعبدا، والجيش السوري الذي هيمن على الحياة العامة في لبنان طوال ربع قرن ويزيد... وفي النهاية، رحل الجميع، واحداً تلو الآخر، وبقي لبنان.»

وفي الإطار عينه يتوجه إلى الشباب اللبناني بالقول: «وصيّتي أو نصيحتي للشباب هي أن «يطلبوا العلم ولو في الصين»، أي أن يسعوا وراء المزيد من اكتساب العلوم والمعارف والخبرات في بلدهم وفي الخارج. لا ضرر من العمل في الغربة حين تتوافر للشباب فرص أفضل للترقّي المهني والإجتماعي. لكنّ العمل في بلدان الاغتراب لا يتنافى مع التعلّق بالوطن ومع العمل لتحسين مستقبل لبنان.»

أمّا للسياسيين فيقول: «لست في موقع الموجّه لزملائي السياسيّين ولكن أكتفي بتوجيه رسالة الى أبناء وطني عموماً، وهي أن أحسنوا اختيار ممثليكم في السلطة، أيّدوا أصحاب الأيادي البيضاء والأفكار النيّرة والذين يتقدّم عندهم الإنتماء الوطني على أي إنتماء آخر، فئوي أو حزبي أو طائفي الخ... أولئك الذين لديهم برامج عمل، ويجمعون في حياتهم الشخصية العامة بين طروحاتهم النظرية وممارساتهم العملية.»

كرجل علم وتشريع، عايش آلام الناس وساعد في تخفيفها، كان الدكتور بيار دكّاش دائماً مع الله: «الله عرفتُه في كلّ انسان مريض عالجتُه»- يقول- «وفي كل جريح أجريت له عملية عاجلة تحت القصف العشوائي، وفي كل لحظة تأمُّل وصلاة كانت تُتاح لي فأستغلّها لمناجاة ربّي سائلاً إيّاه العضد والسند، وهو، والحمد والشكر له، كان دائم الاستجابة لصلواتي...»

لارا سعد مراد

"لم أندم"

في مجلس خاص في مكتب مستشفى السانت تيريز في تسعينيات القرن الماضي سمع يروي قصة عودته الى لبنان قائلاً: «عرض علي منصب مهم في أميركا فسارعت إلى إرسال رسالة إلى والدي في لبنان أزف إليه البشرى السارة... ولكن والدي رد في رسالة آخرى غيرت رأيي ومسيرتي إذ قال: يا بني ما ربيتك لأميركا، أنا ربيتك للبنان... وكانت هذه الرسالة سبب عودتني إلى بلدي.» هل ندم الدكتور دكاش على هذه العودة؟ ولماذا؟

«طبيعي لم أندم» يقول، ويضيف: «وانخراطي الكامل في الحياة الوطنية اللبنانية والتزامي الوطني والمهني خير دليل على ذلك. تلك كانت قناعتي، وهي ظلّت راسخة في نفسي وواكبتني طوال مسيرتي. أسوأ ما يعانيه لبنان هو تربية شبابه لصالح أوطان أخرى، كأنه يستثمر في أثمن وأغلى رأسمال عنده، أي الرأسمال الإنساني، ثم يقدّم هذا الرأسمال مجاناً لوطن آخر.»

وعن نظرته إلى مستقبل لبنان يقول: «من البديهي ألاّ يكون الطبيب متشائماً وألاّ يكون السياسي متشائماً. عدا عن أنني بطبيعتي أميل الى التفاؤل وأحرص على السعي الدؤوب لتذليل الصعاب وإزالة العراقيل التي قد تعترض طريقي الى بلوغ أهدافي. وعلى الصعيد الوطني، يجب ألاّ يغيب عن بالنا أن لبنان ـ كما تشهد على ذلك صخرة نهر الكلب ـ عرف الكثير من الفاتحين والغزاة والمحتلّين من أيام

الدكتور بيار دكاش مع العائلة

Hôpital Français du Levant

Jumelage avec Montpellier, Représentant Officiel de l'Ircad au Liban
(Centre d'enseignement, chirurgie robotique et laparoscopie).

Rue Fouad Shehab, Sin El Fil - Lebanon
Tel. 01 501 500 - Fax. 01 501 500
Site web: www.cliniquedulevantsm.com - Email: info@cliniquedulevantsm.com